# بسم الله الرحمن الرحيم

## الوحي، وكلام الله للبشر، وأنواع هذا الكلام

الوحي الإلهي لجميع الرسل شيء واحد لا فرق فيه بين محمد وموسى وعيسى عليهم السلام.
والوحي في اللغة هو (ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه) ثم غلب استعماله فيما يلقى إلى الأنبياء من الله تعالى.
قال تعالى في سورة الشورى آية ٥١ (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء).

## ما قاله المفسرون في معنى هذه الآية وبيان ضعفه

إن المفسرون قد فسروا قوله تعالى (وحيا) بكلام الله للأنبياء ما عدا موسى، وقوله (من وراء حجاب) بكلامه لموسى فقط، وقوله (أو يرسل رسولا) أي جبريل أي يرسله لسائر الأنبياء والرسل، ولا يخفى ما في ذلك من الترجيح بلا مرجح حيث جعلوا كلام الله لموسى نوعا خاصا به وهو كلامه من وراء حجاب وجعلوا كلامه لغير موسى من الأنبياء (وحيا). ولا يخفى ما في ذلك أيضا من التكرار وتداخل الأقسام حيث جعلوا القسم الثالث وهو كلامه للأنبياء بواسطة جبريل مكررا مع القسمين الأوليين لأن كلامه لهم بالوحي ومن وراء حجاب إنما هو بواسطة جبريل أيضا.
ولكني أفهم في هذه الآية غير ذلك وهو أن مراد الآية أن تبين أن كلام الله تعالى للبشر عامة من رسل وغيرهم على ثلاثة أنواع:

## (ما أفهمه في كيفية تقسيم كلام الله للبشر إلى ثلاثة أنواع مع بيان هذه الأنواع بغير ما قاله المفسرون)

النوع الأول: (الوحي) وهو كلام الله لصنف الرسل الذين أنزل الله عليهم كتبه السماوية بلا فرق بين موسى وغيره من سائر الرسل أرباب الشرائع فكلام الله لهؤلاء الرسل بما فيهم موسى كان كله بالوحي أي بلا واسطة ولا حجاب بينهم وبين الله أو بينهم وبين جبريل صاحب الوحي. وهذا معنى قوله (إلا وحيا)
النوع الثاني: الإلهام والإلقاء في النفس وهو كلام الله للأنبياء وللرسل الذين لم تنزل عليهم الكتب ولم يكونوا مشرعين بل كانوا تابعين غيرهم في التشريع وكذلك الأولياء والملهمون من طرف الله تعالى كعمر بن الخطاب ونحوه وهؤلاء هم الذين كلمهم الله من وراء حجاب أي بلا انكشاف تام كالانكشاف الحاصل للرسل المنزلة عليهم الكتب أي بلا ظهور جبريل لهم الذي هو صاحب الوحي أي أن كلام الله لهم كان بلا وحي منه إليهم وبلا كتب منزله عليهم بل بالإلهام فقط والإلهام أضعف وأخفى من الوحي ولذلك كان من وراء حجاب أي كان بخفاء وعدم ظهور تام كالذي يكون بينك وبينه حجاب وستار.
النوع الثالث: كلام الله لباقي الناس عموما وهو كلامه لهم بواسطة الرسل في كتبه المنزلة من السماء ككلام الله للناس ومخاطبته لهم بقوله (يا أيها الناس) وقوله (يا أيها الذين آمنوا) ونحو ذلك من سائر ما ورد في القرآن والتوراة والإنجيل وباقي الكتب الإلهية فإن ذلك كلام الله لعموم الناس بواسطة رسله في كتبه المنزلة.
وعلى هذا البيان لا يكون تكليم الله مخصوصا لموسى كما قال المفسرون استنادا على قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) وقوله (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) فإن هذا لا يمنع من أنه تعالى كلم محمدا أيضا تكليما في القرآن أي كلمه بالكلامات والعبارات القرآنية وإنه كلم غيره من الرسل أرباب الشرائع في الكتب الإلهية المنزلة عليهم تكليما أيضا أي بكلمات وعبارات هذه الكتب وإن لم يكلم الأنبياء ولا باقي الرسل الآخرين التابعين لغيرهم في التشريع تكليما أي بكلمات وعبارات حيث أنه لم ينزل عليهم كتبا من عنده فإن كثيرا من الأنبياء والرسل ليس لهم شرع جديد ولا كتب جديدة تسمى كلام الله.
فالرسل أرباب الشرائع والكتب الإلية قد كلمهم الله تكليما في هذه الكتب بتلك الشرائع ولكن الرسل التابعين لغيرهم في التشريع لم يكلمهم الله تكليما في كتب أخرى بشرائع أخرى. وهذا ما صرح به قوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) أي أن الرسل قسمان متفاضلان متفاوتان في الدرجات، قسم منهم كلمه الله بكلمات وعبارات في كتبه التي أنزلها عليهم، وقسم آخر لم يكلمهم الله تكليما أي لم ينزل عليهم كتبا من عنده بل كانوا تابعين لغيرهم في ذلك كما أن تكليم الله ليس مخصوصا بالرسل كما يقول المفسرون بل الله يكلم الناس كلهم جميعا ولكن بدرجات متفاوتة قد ذكرها في هذه الآية مرتبة الأقوى فالأقوى. فأولها وأقواها وأعظمها كلامه للرسل أرباب الشرائع.وهذا ما ذكره بقوله (إلا وحيا) أي رأسا بلا حجاب أي كلمهم بكلماته التي أنزلها عليهم في كتبه.
وثانيها كلامه للأنبياء والرسل الذين لم ينزل عليهم كتبا من عنده وكذلك الأولياء والملهمون. وهذا ما ذكره في قوله (أو من وراء حجاب). ثالثهما كلامه لعموم البشر حتى الكافرين كقوله (يا أيها الناس)

وقوله (يا أيها الكافرون) وهو كلامه لهم بواسطة الرسل في كتبه السماوية وهذا معنى ما ذكره قوله (أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء) أي فيوحي ذلك الرسول إلى الناس بإذن الله ما يشاءه الله تعالى.
وليس المراد من الرسول هنا جبريل كما يقول المفسرون بل المراد به الرسول البشرى كمحمد وموسى وعيسى.
وحينئذ فهذه الآية إنما هي لتقسيم كلام الله تعالى لعموم البشر وجعل البشر عموما أقساما ثلاثة بالنسبة لكلام الله تعالى لا كما قاله المفسرون في هذا التقسيم من الغموض والتكرار وعدم الانتظام مما عرفت بعضه سابقا فتفسيري هذا ربما كان أوضح وأليق بالآية من تفسير المفسرين.

## فهم آخر لنا في كيفية هذا التقسيم ربما كان أقرب للعقل

بعد كتابة ما تقدم خطر لي معنى آخر قد يكون أقرب للعقل وأوفق لمعنى الوحي المذكور في الآيات القرآنية الأخرى حيث أن الوحي في القرآن ليس مخصوصا بالأنبياء حتى ولا بالبشر غير الأنبياء كقوله تعالى في سورة القصص (وأوحينا إلى أم موسى) وقوله في سورة المائدة (وإذا أوحيت إلى الحواريين). كما أنه يشمل غير البشر كالنحل في قوله تعالى في سورة النحل (وأوحى ربك إلى النحل) والأرض في قوله في سورة الزلزال (بأن ربك أوحى لها) أي للأرض، والسماء في قوله في سورة السجدة (وأوحى في كل سماء أمرها).
وحينئذ فالمراد من الوحي في قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا) فهو الإلهام الإلهي العام الذي يحصل لعموم البشر سواء كانوا أنبياء ورسلا أم لا. أي هو هذا الإلقاء في نفس الإنسان وقلبه وإن كان الإلقاء والإلهام يتفاوت في البشر قوة وضعفا بحسب استعداد الملهم وصفاء نفسه. وأول مراتبه وأضعفها الرؤية الصادقة والإلهام النفساني الصادق وأقواها وأعلاها انكشاف الأشياء بحقائقها كما هي، وهذه المرتبة الأخيرة هي المرتبة المخصوصة للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام التي لا يمكن أن تحصل لغيرهم وهي التي تسمى بوحي النبوة والرسالة، وإن كان يحصل للأنبياء والرسل غيرها أيضا من المراتب والدرجات كالرؤية الصادقة ونحوها. فهذا الوحي أي الوحي البشري يتفاوت كما وكيفا أي يتفاوت في مقدار وعدد الأشياء الموعى بها ويتفاوت أيضا في كيفيته وشكله وقوته وضعفه كما قدمنا. وهذا هو النوع الأول من أنواع تكليم الله لعموم البشر المذكور في هذه الآية.
والنوع الثاني من تكليم الله لعموم البشر هو تكليمه لهم من وراء حجاب أي إعلامهم وتعريفهم الأشياء وتفهيمها لهم بآثارها ودلائلها وبراهينها حيث تكون حقيقة هذه الأشياء محجوبة عنهم ومجهولة لديهم ولكن المعلوم لهم هو آثرها فقط الذي يشعر بوجودها، وبرهانها ودليلها الذي يدل عليها فإعلام الناس بهذه الأشياء بواسطة آثارها ودلائلها وبراهينها وحججها هو تكليم لهم من وراء حجاب أي من وراء الدليل والبرهان.
والنوع الثالث هو كلام الله لهم أي لعموم البشر بواسطة الرسل بالكتب السماوية كقوله تعالى مثلا (يا أيها الناس) (يا أيها الذين آمنوا) ونحو ذلك مما ورد في القرآن والتوراة والإنجيل من كلام الله الذي أنزله في هذه الكتب على رسله.
وعليه فهذه الأنواع الثلاثة لا تكون مخصوصة بالأنبياء والرسل فقط كما يقول المفسرون، بل هي أنواع لكلام الله تعالى لعموم البشر كما هو صريح قوله تعالى (وما كان لبشر) حيث أن كلمة (بشر) نكره تعم كل بشر لا خصوص الأنبياء والرسل، ويكون القصد من حصر كلام الله لعموم البشر في هذه الأنواع الثلاثة فقط هو دفع ما يتوهم من أن الله تعالى يكلم أحدا من عباده مواجهة ككلام بعضنا بعضا كما طلب قوم موسى في قولهم لموسى (أرنا الله جهرة) أي ليكلمنا مواجهة.
ولعل تفسيري هذا أقرب للعقل مما تقدمه من التفاسير وأوفق بالآيات القرآنية الواردة في معنى الوحي.

## جمع بين القول بأن كلام الله قديم وبين القول بأنه حادث

لقد حصل خلاف عظيم بين علماء المسلمين في كون كلام الله قديم أم حادثا. فقال بعضهم أنه قديم لأنه صفة قائمة بذاته تعالى وكل ما هو قائم بالقديم فهو قديم، حتى قال بعضهم أن القرآن بالنظر لكونه من كلام الله فهو قديم غير مخلوق أيضا حتى كلماته وألفاظه وحروفه المكتوبة في المصاحف. فعندهم أن المكتوب في المصاحف والمقروء بالألسن والمحفوظ في السطور قديم غير مخلوق وأن الحادث المخلوق هو الكتابة والقراءة الحفظ فقط.
وقال بعضهم أن القرآن الذي هو من كلام الله حادث مخلوق لأنه متركب من كلمات وحروف وأصوات متعاقبة في الوجود وكل ما هو كذلك فهو حادث مخلوق.
ولكني أقول جمعا بين هذين القولين أن القرآن له اعتبارات أربعة ككل كلام في الدنيا:
الاعتبار الأول: القوة والصفة القائمة بالنفس التي رتبت الكلام في الذهن كالقوة أو الملكة التي يرتب بها الإنسان مقالا أو كتابا.
الثاني: المعاني النفسية المرتبة في الذهن قبل أن تظهر في المقال أو الكتاب.
الثالث: الألفاظ والكلمات والحروف التي يتكلم وينطق بها اللسان بعد ترتيبها في الذهن.

الرابع: الكلمات والحروف التي تكتب في القرطاس أو في المصحف.
وعليه فالقرآن قديم باعتبارين اثنين الأول من حيث القوة والصفة الإلهية القائمة بذاته تعالى التي رتبت القرآن فهذه لا شك قديمة غير مخلوقة.
والثاني من حيث المعاني النفسية القائمة في علمه تعالى وهذه أيضا قديمة وغير مخلوقة بلا شك.
وهو أيضا أي القرآن حادث باعتبارين الأول من حيث الألفاظ والكلمات والحروف والأصوات التي تخرج من الفم فهذه بلا شك حادثة مخلوقة حيث أن كل اللغات وكلماتها وأصواتها حادثة مخلوقة. والثاني من حيث الكلمات والحروف المكتوبة في المصحفة وهذه حادثة مخلوقة من باب أولى.
هذا ما أراه جمعا حسنا بين القول بأن القرآن قديم غير مخلوق وبين القول بأنه حادث مخلوق. والله أعلم.